# المنهج التأويلي في كتاب أمالي المرتضى
## (دراسة تفسيرية)

ا.م.د. يوسف محفوظي الموسوي

جامعة شهيد چمران - اهواز sy.mahfouzi@yahoo.com

الملخص

من علماء الشيعة وأبرزهم بين القرنين الرابع والخامس للهجري السيد المرتضى(علم الهدى) العالم البارع الفقيه والأديب والشاعر والمتكلّم والمفسر، صاحب التصانيف والآثار العلمية الضخمة والمدوّنات الرائعة في الأدب والفقه والحديث والكلام والتفسير وغيرها. وان لم يكن السيد المرتضى مذكوراً في عداد المفسّرين المشهورين للقرآن الكريم ولكن نظرةٌ في محتوا كتبه المختلفة توقفنا على أنّ له مذهبا خاصا و نهجا قيما في تفسير كتاب الله العزيز بحيث ينبغي أن يذكر ويناقش و يُبيّن. و هي محاولة من خلال حياته العلمية وشخصيته التفسيرية وبعض كتبه وآثاره نطّلع اوّلاً على مكانته العلمية في مطالعاته القرآنية ونقف ثانياً علي مقتطفات من آرائه في مجال التفسير، ولا سيّما تقاييمه الثقافية في صبغة فقه اللغة و الأدب و الكلام في تفسيره للقرآن الكريم. المنهج المتبع في البحث توصيفي، تحليلي.

الكلمات الدليلية:السيد المرتضى، المنهج التأويلي، تفسير القرآن، الأمالي

Abstract

Among famous and illustrated Shiite scholarly of fourth and fifth century hegira, Seyed Morteza (Alamalhoda), was a prime scholar, jurisconsult, literary, poet, speaker, and commentator that owns many valuable literature. He, in all dimensions of his own character, was an expert writer and has left a collection of brilliant literature. Although Seyed Morteza is not listed among famous compilers of the holy Quran, but by looking at the contents of his diverse literature, we realize that he has a special disposition and valuable method in interpretation of the holy Quran which is worthy of study and clear presentation. In this paper, we have tried with a quick overview of the scientific life, character interpretation, and selected books and literature of Seyed Morteza to firstly learn about his academic standing in Quran Studies. Secondly, to learn about a selection of his interpretive views of the holy Quran, specifically, his cultural assessment in color of linguistics, literature, and speech in interpretation of the holy Quran, a work that is

rarely proposed and discussed. Analytical and descriptive methods are used in this paper.

keywords:Seyed Mortaza, Interpretative Method Quran Interpretation,Alamali

١ـ المقدمة

لاشك انّ في القرن الرابع وبرهة من الزمن قبله إلى وسط القرن الخامس من المراحل التاريخ الإسلامي حدثت وقايع شتّى منها ثقافية بارزة ومفرحة! من أعظمها ظهور شخصيات علمية عظمى و رجال مفكرون بارزون في المذاهب المختلفة الإسلامية.وعلى أثر هذا الظهور اتسعت الأجواء لطرح المسائل العلمية وتطورت البحوث والمجالس لأهل العلم وطلابه ورواد الثقافة و محبيها. هذه المرحلة وحدها سبّبت بحوث و تحقيقات للمؤرخين و ساير الباحثين و لا يزال الطريق مفتوحٌ لمناقشة هذه البحوث والدراسات. ومن الوجوه اللامعة في عالم الإسلام و التشيع التي ظهرت في تلك الفترة الذهبية هو ابوالقاسم علي بن الحسين الشهير بـ"السيد المرتضى" و"الشريف" و"علم الهدى" و"ذي المجدين" و"ذي الثمانين" العالم البرع والأديب الذكى والفقيه الخبير والمتكلم المستعد والمفسر الورع.

السيد المرتضى هو صاحب الآثار و الآراء في الحقول المختلفة من العلوم الإسلامية، و من جملتها تفسير القرآن الكريم وانّه وإن لم يكن أفرد في تأليف كتاب جامع لتفسير القرآن، لكنّه قد فسّر آيات كثيرة من كتاب الله وردت في كتبه و تصانيفه و قد برز في تفسيره، الإقبال الأدبي و الكلامي معاً في زمن واحد.

والذي نتعرض له في هذا المقال بَعد نظرة عاجلة في حياة السيد المرتضى و سيرته و بعض آثاره أنه نناقش مكانته التفسيرية و آرائه في تفسير القرآن و التي قلما تُذكر وتُناقش عادة! و من ثم نتطرّق لدراسة نهجه و أسلوبه في هذا الصدد وعن الأسس الأدبية و الكلامية له.

١ـ١ـهدف البحث

الهدف من هذا البحث هو دراسة الجانب التفسيري من شخصية السيد المرتضى، للتعرف على أقواله وآرائه التفسيرية وعلى منهجه الذي كان يلقي به على طلابه وتلامذته ومستمعيه وللوصول إلى نماذج من تفسيره لآيات من القرآن الكريم.وعلى أمل أن نعمل للسير صوب فهم القرآن وتطبيق أحكامه وارشاداته.

١ـ٢ـأسئلة البحث

١ـ ما هي كيفية تفسير السيد المرتضى؟

٢ـ أين وردت تفاسير آيات من القرآن من السيد المرتضى؟

١ـ٣ـفرضيات البحث

١- تفسير السيد المرتضى إشتمل على قسمٍ من الآيات القرآنية، و تطرّق السيد في تفاسيره للآيات إلى مباحث أدبية و كلامية و حديثية،أبرز فيها النوع الإجتهادي من التفسير بخلاف ما أظهره السابقون على نوعه الروائي.

٢- وردت تفاسير السيد المرتضى في بضع من تصانيفه و آثاره متفرقة، منها:"تفسير سورة الحمد" و"تفسيرالآيات المتشابهات" و"الذريعة إلى أصول الشريعة" و"تنزيه الانبياء " و"الأمالي"و...

١-٤- خلفية البحث

مانرى من كتاب مفرد مستقل جمع أو ناقش الجانب التفسيري من شخصية السيد المرتضى أو تطرق أحد إليه بشكل شامل؛ ولكن جاءت بجوث عن هذا الموضوع في مصادر و مباحث خُصت لعلم التفسير متفرقة متناثرة دون انسجام وكمال ككتاب التفسير و المفسّرون لمحمد حسين الذهبى و كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر.

٢- نبذة من حياة السيد العلمية

العالم العظيم و العبقري الفذ في القرنين الرابع و الخامس، الشريف السيد المرتضى، علم الهدى ولد في شهر رجب عام ٣٥٥ هجري قمري في بغداد. إسمه علي بن الحسين، طاهر بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، علوي و موسوي. أحد كبار الفقهاء الإمامية، جامع العلوم العقلية والنقلية في عصره و كان في قمة العلوم في الأدب و الفنون و الكلام و التفسير و إنّه قد تبحّر في تلك العلوم إلى مستوى ومكانة قيل عنه هو مروّج المذهب في القرن الرابع[١].

السيد المرتضى بدأ التعلّم في زمن طفوليته في العلوم السائدة آنذاك و في عصر شبابه بلغ القمة في كثير من العلوم الإسلامية. كان يُعدّ من الطلّاب المتفوّقين لأستاذه الشهير الشيخ المفيد. و أدّت عبقريته في كثير من العلوم الإسلامية المختلفة أن يشتهر بين العلماء شهرة عالية و أن يقع موقع الإحترام و التمجيد في المجتمع الاسلامي[٢]. كان اجداده من الكبار المعروفين و المحترمين بين الناس و كان والداه من الصالحين ذوي الجدارة في الدهر وكان يعرف أبوه حسين الموسوي بـ"الطاهر الأوحد ذي المناقب" أي ذي الفضايل و الخيرات الكثيرة و كان يتولّى منصب شئون الأشغال و معيشة سادات آل أبي طالب و مسئولية الإشراف على ديوان المظالم و تولية شئون زوّار بيت الله الحرام الذي كان من المناصب الهامّة في ذلك الوقت.كان جده إبراهيم المجاب من أحفاد الإمام موسى الكاظم عليه السلام[٣] كانت امّه علوية، إسمها كإسم الزهراء(سلام الله عليها) يعني فاطمة، سيدة مشرفة عالمة قيل إن الشيخ المفيد زعيم الشيعة آنذاك و أستاذ السيد المرتضى صنّف كتاباً لها تحت عنوان "احكام النساء[٤]". من جهة قيل إنّه عرف بـ"ذي الثمانين" أو أبي الثمانين لأنّه أورث من بعده ثمانين ألف مجلد من الكتب في مكتبته و على قول البعض ألفّ ثمانين كتاباً و أودعها من بعده فلهذا لُقّب بهذا اللقب".

[١]- مدرس تبريزى، محمدعلى، ريحانة الأدب، ص١٨٣-١٩٠.
[٢]- شريفى، محمود، سيد مرتضى پرچمدار علم و سياست، ص١٣[السيد المرتضى رائد العلم و السياسة]
[٣]- مطهرى، مرتضى، آشنايى با علوم اسلامى، ص٨٠[التعرّف على العلوم الاسلامية]
[٤]- شرفى، محمود، سيد مرتضى پرچمدار علم و سياست، ص١٣[السيد المرتضى رائد العلم و السياسة]

وامّا لقبه بـ"ذي المجدين"(أي الذي صاحب المجدين و العظمتين) لهذا الجهة أنّه وصل إلى مجدين و عزّتين، الدنيا و الآخرة كان له المجد و المقام المنصب الدنيوي(إي مقام"أمير الحاج") و "نقابة الطالبيين"(أي الإشراف على ديوان المظالم) و قيادة المسلمين في عهده التي لا تنال كل أحد. و أيضاً له من المقام المعنوي و القيم و لهذه العلّة سمّوه بـ"ذي المجدين" و شهرته بـ"السيد الشريف و المرتضى" أيضاً سبب إنتماء و إنتهاء نسبه إلى الإمام زين العابدين عليه السلام و شرافة آبائه و امهاته و طهارتهم[١]. لقّبه جده أمير المؤمنين بـ"علَم الهدى" على لسان الوزير أبي سعيد محمدبن الحسين في المنام، إنتهت إليه رياسة الإمامية في الدين و الدنيا و لم يتفق لأحد ما اتفق له من بسط اليد و طول الباع في إحياء دوارس المذهب، كان يدرّس في كل العلوم الإسلامية لا سيما الكلام و الفقه و الأدب و الحديث، و يجري على تلامذته رزقا، و تخرج عليه أعلام علماء الإسلام و ائمة الفقه و الكلام[٢].

وممّا يذكر في ترجمة السيد المرتضى قضيته مع أخيه السيد الرضي حين بَدَءا دراستهما الفقهية نقلها إبن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة ما يلي:

...حدّثني فخّار بن معدّ العلوي الموسوي رحمه الله، قال: رأى المفيد أبو عبدالله محمد بن النعمان الفقيهُ الإمام في منامه، كأنّ فاطمة بنت رسول الله (ص) دخلت عليه و هو في مسجده بالكَرْخ، و معها وَلَداها: الحسن و الحسين عليهما السلام، صغيرين فسلّمتهما إليه، و قالت له: علِّمهما الفقه. فانتبه متعجّباً من ذلك، فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت عليه المسجد فاطمة بنت الناصر، و حولها جواريها و بين يديها إبناها محمد الرضيّ و علي المرتضى صغيرين، فقام إليها و سلّم عليها، فقالت له: أيّها الشيخ، هذان ولدَاي، قد أحضرتُهما لتعلِّمهما الفقه، فبكى أبو عبد الله و قصّ عليها المنام، و تولّى تعليمهما الفقه، و أنعم الله عليهما، و فتحَ لهما من أبواب العلوم و الفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا؛و هو باق ما بَقيَ الدهر[٣].

هذا ما يذكر في بدأ دراسته الفقهية و لكن يبعد أنّه قبل أن يتعلّم الفقه لم يكن قد تعلّم العلوم الأدبية التي هي من المقدمات لعلم الفقه. و يذكر في هذا الصدد أن السيد المرتضى بدأ دراسته الأدبية في الطفولية عند إبن نباته و كان عمره آنذاك ١٢ أو ١٣ سنة و في بدأ دراسته في الفقه كان عمره حوالي ١٥سنة، لانّ أخاه الرضي كان معه في هذه الدّراسة و عمره ٤ أو ٥ سنوات أقل منه[٤].

٢-١-أساتذته وتلامذته

من جملة أساتذة السيد المرتضى الذين كان لهم سهم في تكوين شخصيته إما في الأدب و إما في الفقه و الأصول و غيرها من العلوم هم، الشيخ المفيد و الشيخ الصدوق و ابو محمد هارون بن موسى التلعكبري و زيد الحسن علي بن محمد الكاتب و احمد بن محمدبن عمران الكاتب و أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق و سهل بن احمد الديباجي و إبن نباتة السعدي و أبو عبيد الله المرزباني و...[٥]. ومن الذين أخذوا العلم من السيد المرتضى و تتلمذوا في رحابه، شيخ الطائفه محمد بن الحسن الطوسي و سيد نجيب الدين حسن بن محمد بن الحسن الموسوي و محمد بن الحسن بن حمزة المعروف بأبي معلّى الجعفري و سالار بن

---

[١]- راجع نفس المصدر، ص٧٩
[٢]- راجع نفس المصدر، ص٣٠١
[٣]- ابن ابى الحديد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٤١؛ الصدر، سيد حسن، ص٣٩١
[٤]- گرجى، ابوالقاسم، تاريخ فقه و فقها، ص١٤٨
[٥]- راجع: آقا بزرگ الطهرانى، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ج٢، ص١٢٠-١٢١، المحامي، رشيد الصفار، ص٢٤.

عبد العزيز الديلمي و أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي و احمد بن الحسن بن احمد النيشابوري و عبد الرحمن بن احمد بن الحسن المعروف بالمفيد الثاني و...[١] .

٣- نظرة سريعة في التفسير عند علماء الشيعة

من بعد ما أورث النبي صلى الله عليه وآله وسلم العلوم المختلفة لأهل بيته عليهم السلام ومنها علم التفسير ،فقدأخذ

أتباعهم عنهم التفسير من زمن الصحابة ثم التابعين فما بعد، حتى وصل هذا العلم الشريف إلى القرن الرابع وإلى الشريف السيد المرتضى، ومما هو مشهور عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه كان أعلم أصحاب النبي(ص) بعلوم القرآن و التفسير؛ أورد السيوطي أنه اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة، وأكثرهم رواية للتفسير هو علي بن أبي طالب،الذي روى عنه الكثير[٢] وأضاف السيوطي رواية عن معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً يخطب و هو يقول: "سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل"[٣].

ويذكر أن أول من صنّف في علم التفسير في زمن التابعين هو سعيد بن جبير الذي كان يأتم بالإمام علي بن الحسين عليه السلام و كان علي بن الحسين ثني عليه[٤]. نقل السيد حسن الصدر أن سعيد بن جبير التابعي أعلم التابعين بالتفسير و أضاف نقلاً عن السيوطي في كتابه الإتقان عن قتادة أنه قال:كان أعلم التابعين أربعة، كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، و كان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير و كان عكرمة أعلمهم بالسير، و كان الحسن أعلمهم بالحلال و الحرام، و أضاف نقلاً عن إبن النديم في الفهرست عند ذكره للكتب المصنفة في التفسير سرداً كتاب تفسير سعيد بن جبير، و أورد اسماء أشخاص من الشيعة إهتموا بعلم التفسير[٥]. و قال إبن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة: "ومن العلوم علم تفسير القرآن و عنه (أي الإمام علي عليه السلام) أُخذ ومنه فُرّع واذا رجعتَ إلى كتب التفسير علمتَ صحة ذلك؛ لأنّ أكثره عن عبدالله بن عباس، وقد علم الناس حالَ إبن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنّه تلميذُه وخرّيجه. وقيل له: أين علمك من علم إبن عمك؟ فقال كنِسْبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط"[٦].

وفي إعتقاد الشيعة أنّه إستمرت العلوم المختلفة ومنها علم التفسير من بعد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عند الأئمة عليهم السلام إلى زمن الغيبة، ومن ذلك الوقت كانت علماء الشيعة تنقل علم التفسير ورواياته في مجالسهم و مدارسهم حتى جاء الكثير من تلك الروايات في مجموعات كـ"تفسير القمى" لعلي بن إبراهيم القمي و"تفسير العياشي" لمحمد بن مسعود العياشي. وجاء البعض منها في موسوعات سُمّيت بـ"الأمالي" أو "المجالس" كـ"الأمالي" للشيخ المفيد و "الأمالي" للسيد المرتضى و"الأمالي" للشيخ الطوسي و"الأمالي" للشيخ الصدوق. ولكن ضمت الكثير من المباحث التفسيرية في "الأمالي" للسيد المرتضى- وسيستمر البحث عنه أكثر قريباً ان شاء الله - لكن الشيخ الطوسي ألّف كتاباً جامعاً لتفسير القرآن بالنسبة إلى

[١]- راجع: السيد المرتضى، على بن حسين، الرسائل، ص٢٧٩.
[٢]- السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ج٢، ص٥٦٤.
[٣]- نفس المصدر.
[٤]- الصدر، سيد حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص٣٢٢.
[٥]- نفس المصدر
[٦]- إبن أبى الحديد، عزالدين، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٩.

سائر المباحث التفسيرية في زمانه قال في مقدمته: "...فانّ الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب انّي لم أجد أحداً من أصحابنا- قديماً و جديداً- من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن و يشتمل على فنون معانيه و أنّما سلك جماعة منهم في جميع ما رواه و نقله و انتهى إليه في الكتب المروية في الحديث ولم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلك و تفسير ما يُحتاج اليه[١].

إذاً يظهر أن الشيخ الطوسي هو أول شخص كان قد صنّف كتاباً تفسيرياً يشمل جميع الآيات القرآنية على أساس الإجتهاد. و امّا في نظرة في كتب العلماء قبله و الكتب التفسيرية قبل كتبه نجد أنه أشير إلى كتاب للشيخ المفيد في علوم القرآن باسم "البيان في أنواع علوم القرآن" ونرى أنّ السيد المرتضى قد فسّر القرآن لأول مرّة على أساس الإجتهاد المبتني على القرآن،والسنة المتواترة والإجماع والأصول العقلية المسلّمة وإن كان لا يشمل تفسيريه جميع آيات القرآن[٢].

٤- نظرة إلى كتب المرتضى

صنّف الشريف، السيد المرتضى كتباً حازت الأهميّة و الإتقان في علوم مختلفة سُجّلت عشرات منها في تاريخ العلم، فقد ذكر السيد حسن الصدر حوالي٦٥ كتاباً[٣] و أشار النجاشي إلى٤٠ كتاباً منها[٤] ما يلي:

" الملخص في أصول الدين- جمل العلم و العمل- تقريب الأصول- دليل الموحدين في حدوث الأجسام- تنزيه الأنبياء و الأئمة عليهم السلام- المسائل الموصلية الأولى فى الوعيد و القياس و الإعتماد- المنع من تفضيل الملائكة على الآنبياء- المقنع في الغيبة - الطرفة في اعجاز القرآن- الخلاف في اصول الفقه - المسائل المفردة في اصول الفقه - و - مسألة في الإرادة- الشافي في الإمامة- المصباح في أصول الفقه".

٤-١كتبه التفسيرية

لكوننا نبحث عن شخصية المرتضى التفسيرية نذكر في مايلي آثاره في التفسير و علوم القرآن: فله تفسير سورة الحمد وقطعة من سورة البقرة، تفسير آية "قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم"(انعام/٦) تفسير آية "ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا"(المائده/٩٣)،تفسير الآيات المتشابهات، حكم الباء في آية "وامسحوا برءوسكم..."(المائده/٦)، الكلام على من تعلّق بقوله تعالى "ولقد كرمنا بني آدم..."(الاسراء/٧٠)، مسألة في وجه تكرار الآيتين، الأمالي(الغرر و الدرر) أجوبة المسائل القرآنية، كتاب الموضح عن حجة إعجاز القرآن، وأيضاً يُعدّ كتاب تنزيه الأنبياء في عداد كتب التفسير و إن كان هو كتاب كلامي و لكن فيه ما يستفاد من القرآن و الآيات كثيراً[٥] ويستمر الكلام هنا في البحث عن التفسير عند المرتضى باشارات موجزة تكشف النقاب عن منهجه ومذهبه التفسيري مايلي:

١- الإقبال إلى الأدب وفقه اللغة

كان التصوّر المعمول فيما قبل أن التفسير الروائى الأول للشيعة هو تفسير التبيان للشيخ الطوسى وأهم الآثار آنذاك فيها مسحة روائية مثل تفسيرالقمى وتفسيرالنعمانى وأمثالها. ولكن عندما تكوّنت مدرسة

[١]- الشيخ تاطوسى، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص١.
[٢]- راجع: الجواهري، محسن بن شريف، الغرائد الغوالي، ص١٧٤.
[٣]- الصدر، سيد حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، ص٣٩٢.
[٤]- النجاشي، احمد بن على، رجال النجاشي، ص٢٧٠.
[٥]- راجع: الصدر، سيد حسن، تأسيس الشيعة ص٣٩٢؛ النجاشي، احمد، الرجال، ص٢٧٠؛ عقيقى، عبدالرحيم، طبقات المفسرين، ص٣٧٦.

المتكلّمين في بغداد واتسعت في أواخر القرن الرابع فمابعد، ألفت تفاسير متعددة في محافل الشيعة، و يُرى أن الإقبال التفسيري الخاص لمدرسة المتكلمين في بغداد الذي شوهد لأول مرة في تفسير الوزير المغربي باسم "المصابيح في تفسير القرآن" إستمر في آثار شخصيات كالشيخ المفيد والسيد المرتضى والسيد الرضي و إلى حد ما في تفسير الشيخ الطوسي. و هو إقبال نتمكّن أن نسميه باختصار "الأدبي الكلامي".ولتفاسير هذه المدرسة ميزات منها:

أولا: صاحبو هذه التفاسير بخلاف المفسّرين القدامى من الشّيعة، ينقلون أقوال مفسري العامّة كثيراً و يحللونها.

ثانياً: يرون مكانة هامةً للشواهد الأدبية و الإستدلالات لفقه اللغة فى تحليلاتهم.

ثالثاً: لهم إقبال كلامي واضح بحيث يستطاع أن يقال أن هدفهم الرئيسي من تأليف الكتب التفسيرية هوالدفاع عن مدرسة التشيع.

رابعاً: مع إقبالهم الكلامي يحافظون عن الوحدة الإسلامية و لايبرزون في إدلالاتهم و اظهار آراء هم التفسيرية كلاماً يمس الوحدة من وجهة نظر عامة المسلمين، و إن كان البعض يعدّون بخطأ مفسرى هذه المدرسة أنهم فى زمرة أتباع المدرسة الكلامية للإعتزال[1] و في تفسير السيد المرتضى نهجاً يشتمل علي: إمعان نظر بالشعر العربي، و الالفاظ اللسانية و الأساليب البيانية، والتحليل اللغوى الشاسع.

٢- تأثير مباني الكلامية على آراء السيد المرتضى

كان السيد يستخدم المباني الكلامية في تفسيره الذي هو بارز في الأدب وفقه اللغة دفاعاً عن المباني العقائدية لمدرسة المتكلّمين في بغداد و كان يسعى دائماً يدافع عن إقبال مدرسة التشيّع إلى فهم القرآن وذلك في عهد الخلافات بين الفِرَق المختلفة للشيعة والمعتزلة و أصحاب الحديث. لهذا جاءت المباحث الكلامية في تفسيره مثل: مشيئة الرّب و إرادة الإنسان و رؤية الرّب وعصمة الأنبياء و...

تتمة حول التفسير

يسعى السيد في كثير من مواضع تفسيره أن يؤلّف بين بعض الآيات التي تعارض الأصول العقلية الواضحة في الظاهر و بين سائر الآيات و يستفيد دائماً في تفسيره من الدلائل العقلية و خاصةً الإستشهاد و الإستناد بكلام العرب بشكل رائع معجب. و نظراً لتفسيره الأغلب في الآيات العقائديّة و جوابه للرّد على خدشات شتّى الفئات، قد ظهرت في تفسيره الصبغة الكلامية وفي بعض الأحيان ليس في تفسيره علاقة بالمباحث العقائدية و الكلامية ومن ثمّ أنّه قد تبحّر جداً في العلوم الأدبية، برزت في تفسيره الوجهة الأدبية واضحة باهرة وبحيث أنّه لم يترك أي آية دون بحث أدبي[2].

مصادر السيد المرتضى في تفسيره:

من المصادر التى استند اليها السيد و أخذ منها في مباحثه التفسيرية هي:

[1]- راجع: ابن خرم، على، جمهرة أنساب العرب، ص٦٣٤؛ الذهبي، محمدحسين، التفسير والمفسرون، ج١، ص١٩؛ گلدزيهر، ايگناس، مذاهب التفسير الاسلامي، ص١٣٧.

[2]- راجع السيد المرتضى،الأمالي، ج١، ص١٣-١٦ وج٢، ص١٣٦-١٦٧.

١- التفاسير الروائية والروايات التفسيرية للعامّة، أهمها جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري و مصادر أخرى لم تعرف بوضوح.

٢- التفاسير الأدبية، مثل معاني القرآن للفرّاء، غريب القرآن لإبن قتيبة، معاني القرآن و إعرابه للزّجاج مجاز القرآن لأبي عبيدة و...

٣- تفاسير المعتزلة: أخذ السيد من بعض المعتزلة مثل جعفر بن حرب و أبي مسلم محمد بن بحر الإصبهاني، له تفسير كبير بإسم "جامع التأويل لمحكم التنزيل"، والآن ليس له اثر[١]. نقل السيد مرات متعدّدة نفس العبارة من ذلك الكتاب، امّا ينقلها وبعد النقل امّا يردّها أو يحلل عليها أو يقبلها[٢].

الأمالي

كتاب "الأمالي" أحد كتب الشريف المرتضى المعروفة، فيه تفسير قسم من آيات القرآن الكريم و تبيين الأحاديث الصعبة وتعرّض فيه السيد ألى بعض المسائل الكلامية المثيرة للبحث و الجدال بين الشيعة و ساير المذاهب و كما هو معلوم من إسمه أنّ السيد المرتضى أملى على طلّابه و تلامذته مطالب الكتاب كما أنّ لفظة"أمالي" هي جمع كلمة "إملاء".ويذكر لهذا الكتاب اسماء و عناوين أُخرى مثل:

الأمالي في التفسير، مجالس التأويلات، مجالس كشف الآيات، غرر الفوائد و درر القلائد(الغرر و الدرر)،التفسير [٣].

وقد أشار الذهبي إلى هذا الكتاب بالتعريف به وطريقة مؤلفه على قدر معرفته له، و عدّ الكتاب أنه من التفاسير المعتزلة[٤] ولكن هو من المعلوم أن المرتضى كان شيعياً خالصاً بعيداً عن الإعتزال، اللهم إلا إذا كان شيئ من العقيدة والبحوث فيها تشابه أو تقارب بين الشيعة و المعتزلة فهو من المناسب أن يذكره أو يؤيده، فيقول الذهبي: إن كتاب غرر الفوائد و درر القلائد كتاب يشتمل على محاضرات أو أمالي، أملاها الشريف المرتضى في ثمانين مجلساً تشتمل على بحوث في التفسير و الحديث و الآدب و هو كتاب ممتع يدل على فضل كثير و توسع في الإطلاع على العلوم و هو لا يحيط بتفسير القرآن كلّه، بل ببعض من آياته التي يدور أغلبها حول العقيدة و على ضوء ما فسّره من الآيات نستطيع أن نلقي نظرة فاحصة على تفسير المعتزلة للقرآن في ذلك العصر،كما نستطيع أن نقف على مبلغ جهود الشريف للتوفيق بين آرائه الإعتزالية وآيات القرآن الكريم التي تتصادم معها[٥].

قد احتوى هذا الكتاب على المباحث العلمية في الأدب والحديث والكلام والتفسير وتطّرق صاحبه إلى ما يقرب من ١٥٠ آية من القرآن الكريم بتفسيره و تأويله، وكما أشيرمن قبل أنه كوّن الكتاب من ٨٠ محاضرة من بياناته وآرائه.كان دأب السيد في تبيين الآيات الكريمة و التعبير عنها بأسلوبه التفسيري بأنّه كان يبتدأ بتفسير أو تأويل آية أو آيات من القرآن في كل مجلس، ثم يشرع ببيان حديث أو أبيات من الشعر من الشعراء المعروفين ويشرح المعنى ويأتى بكشف المعنى عن المفردات عنداللزوم، ويناقش وينقد ويستنتج نهائيا ويعبر عن رأيه ونوعية تفكيرة.

---

[١]- راجع: ابن النديم، محمد بن اسحاق، الفهرست، ص١٥١.
[٢]- ينظر: السيد المرتضى، تنزيه الأنبياء،ص٦٤.
[٣]- گرجى، ابوالقاسم، تاريخ فقه و فقها، ص١٧٢
[٤]- الذهبي، محمدحسين، التفسير و المفسرون، ج١، ص٣٨٨ فما بعد.
[٥]- الذهبي،٤٠٣.

وقيل عن مكان وزمان هذه المحاضرات أنّها ألقيت من قبل السيّد المرتضى على تلاميذه فى طريق سفره إلى الحجاز[١] ولكن نظراً لكثرة مصادر هذا الكتاب و انسجام مطالبه، يلزم أن يقال بحزم إنه وإن كان أصل المحتويات والمطالب أُمليت ودُرّست في السفر ولكنّها نوقشت ونُظّمت مرّة أخرى.

كان المرتضى يبتدأ فى كتابه هذا فى أغلب مباحثه التفسيريّة بعنوان "التأويل" وكان مراده بالتأويل هو معنى التفسير الذى كان يستعمله العلماء السابقون، كاستعمال الطبرى فى تفسيره. ثم يطرح المطلب الذى يريد أن يُبينه بصورة سؤال وجواب وهذا الأسلوب مشهود فى أكثر آثاره التى تضم المباحث التفسيرية.

وخاصة إتبع هذاالنهج الذى له تأثير فى تفهيم المطالب في كتاب الأمالى. ويقال أن هذاالكتاب من أفضل آثار السيد وربما لم يَنَل أى كتاب بقدر ما ناله هذاالكتاب من التوجه والإهتمام والإقبال من جانب علماء العامّة. فيقول محمد ابوالفضل ابراهيم عن الكتاب: إن المؤلّف بذل كل جهده فى الأمالى لإيجاد التلاءُم والتوافق بين الآيات المتشابهة و بين ما يجرى على لسان العرب من نظم ونثر، و قد تفوّق فى سيره هذا بإعجاب يعبر عن ذهنه و ذكاءه الزاهر و بصيرته العميقة وكانت تساعده ذاكرته التى فيها مجموعة من أشعار العرب وعلم اللغة والحديث فيما يفسره ويؤوله[٢].

تكملة لكتاب الأمالى

أضاف المرتضى مطالب تفسيرية اشتهرت بكتاب "تكملة الغرر و الدرر" والكتاب هذا يحتوي على تفسير اكثر من ١٥ آية من القرآن مع مباحث أخرى في الأدب و الكلام ونظراً لتناسبه وتشابهه فى الأسلوب والمحتوى لكتاب الأمالى، أضيف فى نهاية الكتاب، بإشارة المؤلّف بعنوان "تكملة الأمالى". (و تم تحقيق الكتاب بيد محمد ابوالفضل ابراهيم و طبع فى آخر المجلد الثانى للأمالى)[٣]

مكانة الأمالى

يعرف السيد المرتضى بعناوين كالفقيه و المتكلم و الأديب و الشاعر و...عندالشيعة و لم يذكر فى آثاره التى كتبت عنه أبداً أنّه "مفسّر للقرآن" و هذا من العجيب كثيراً! و يحصل من مناقشة آثاره أن شخصيته تليق للنقاش و الدراسة، و ممّا يزيد عجباً أن الذين يثنونه و يحمدونه عندما يذكرون كتاب الامالى (غررالفوائد و دررالقلائد) بعنوان أحد الآثار الهامّة للثقافة الإسلاميّة، يقلّون الكلام عن قسم التفسير منه الذى يضم أهم المباحث التفسيرية! و فى الحقيقة على أساس التحقيق و البحث عن تاريخ التفسير عند الشيعة و المباحث التفسيرية للسيد المرتضى و المقايسة بينها و بين الآثار التفسيرية التى كانت قبله، نجد أن السيد المرتضى فى قمّة المفسّرين الذين أقدموا على التفسير الغير نقلى للقرآن[٤].

و بما أن السيد المرتضى يذكر بقليل بعنوان "المفسر" لا لأنّه لم يقدم على التفسير ولا لأنّ أثره التفسيري لم يوجد، بل لأجل أنه لم يفسّر القرآن كاملاً و أن الذى قد فسّره من الآيات قد جاءَ في بين آثاره فى الفقه والكلام والحديث و الأدب وانتشر وانتثر وصارمغفول عنه[٥].

---

[١]- راجع السيد مرتضى، الذريعة إلى أصول الشريعة، ص١٦-٤٤
[٢]- السيدالمرتضى، الأمالي، ج١، ص١٨.
[٣]- راجع: نفس المصدر
[٤]- عبدالرزاق، محيى الدين، أدب المرتضى من سيرته و آثاره، ص٢٠٤.
[٥]- راجع: عبدالرزاق، أدب المرتضى من سيرته و آثاره، ص١٠٤

ونظراً لهذه المطالب التى مرّت، وإن كانت أعظم خصال مجموعة المباحث التفسيرية تنسب اليه، ولكن ليس هذا هو كل الفضل، بل أنّ أحد هذه الجهات القيّمة لهذه المجموعة، هو تبيين الحقيقة أنّ السيد أخذ جانب المظاهرة و التأييد و المساندة لإعتقادات الراسخة لمدرسة التشيع في أوان ظهور الفِرَق الشتّى كـ"الأشاعرة" و"أهل الحديث" و"المجسمة" و "المشبّهة" وغيرها، وبالتفوّة عن الفطرة والعقل السليم لم يسمح لِظاهر بعض الآيات القرآنية أن تكون حجّة لتوسع العقائد الغير صحيحة، كالطعن بـ"عصمة الأنبياء" و "عدم تكليف الإنسان بما لا يطيق" و "عدم تفويض الإنسان و حريّته فى أفعاله" و "رؤية الله فى القيامة" و"نفي الآيات التى نزلت في الإمام علي عليه السلام وخلافته و أبناءه" وما شاكلها، وعلى هذاالنّمط قد بنى أساس التفسير الإجتهادي بين الشيعة والذى يلاحظ جيّداً إستمرار جهده فيما بعد في مطالب وردت في تفاسير مثل التبيان، و مجمع البيان،و روض الجنان وروح الجنان وما شابهها..

نماذج من تفسيره:

لمزيد الإطلاع والتعرف على تفسير السيد و نهجه في تبيين أو تأويل آيات من القرآن وكذلك لإثبات ما أوردناه فيما مضى من البحث فنراجع كتابه "الأمالي"الذي ضم كثيراً من المباحث التفسيرية والذي طبع في أربع أجزاء، ننتخب من كل جزء نموذجاً واحداً رعاية للإختصار وننقلها ما يلي:

١ـ قال الله تعالى"يسألونك عن الروح قُلِ الروحُ من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلاّقليلاً"[١].. و قد ظنّ قوم من غفلة الملحدة و جهالهم أن الجواب عما سئل عنه في هذه الآية لم يحصُلْ و أن الإمتناع منه إنما هو لفقد العلم به و أن قوله تعالى "و ما أوتيتم من العلم إلّا قليلاً" تبكيت[٢] و تقريع[٣] لما يقعا موقعهما و انما هو(أوهما) على سبيل المحاجزة و المدافعة عن الجواب.. و في هذه الآية وجوه من التأويل تبطل ما ظنوه و تدل علي ما جهلوه.. أولها أنه تعالى إنما عدل عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أدعي لهم الى الصلاح في الدين و أن جوابهم لو صدر منه إليهم لازدادوا فساداً و عناداً إذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين و ليس هذا بمنكر لأنا قد نعلم في كثير من الأحوال فيمن يسألنا عن الشئ أن العدول عن جوابه أولى و أصلح في تدبيره.. و قد قيل إن اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمداً عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي و إن لم يجبكم فهو نبي فانا نجد في كتبنا ذاك فأمره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون عَلَماً و دلالة على صدقه و تكذيباً لليهود الرادين عليه و هذا جواب أبي علي محمد بن عبدالوهاب الجُبّائي.. و ثانيها أن القوم انما سألوه عن الروح و هل هي محدثة مخلوقة أو ليست كذلك فأجابهم بأنها من أمر ربي و هو جوابهم عما سألوه بعينه لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب أنها محدثة مخلوقة و بين قوله إنها من أمر ربي لأنه إنما أراد أنها من فعله و خَلقه و سواءٌ على هذا الجواب أن تكون الروح التي سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد أو عيسى أو جبرائيل عليهما السلام و قد سمى الله جبرائيل روحاً و عيسى أيضاً بذلك مسمىً في القرآن.. و ثالثها أنهم سألوه عن الروح الذي هو القرآن و قد سمى الله القرآن روحاً في مواضع من الكتاب فإذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه لأنه قال لهم الروح الذي هو القرآن من أمر ربي و مما أنزله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليجعله دِلالة له و عَلماً على صدقه و ليس من فعل المخلوقين و لا مما يدخل في إمكانهم و هذا الجواب للحسن البصري و

---

[١]ـ الإسراء/٨٥.
[٢]ـ التبكيت أى الإسكات.
[٣]ـ التقريع أى التوبيخ.

يقويه قوله تعالى بعد هذه الآية "ولئن شِئنا لَنَذْهَبنَّ بالذي أوحَينا اليك ثم لا تجِدُ لَكَ به عَلَينا وَكيلاً"[١] فكأنه تعالى قال إن القرآن من أمري و فعلي و مما أنزلته عَلماً على نبوة رسولي صلى الله عليه وآله وسلم و لو شئت لرفعته و أنزلتهُ و تصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله[٢]

تعليق: نرى في هذا التفسير إضافة على المعنى الذي أتى به السيد و تطرق إلى وجوه متعدّدة بعد أن ذكر السبب النزول المشهور لهذه الآية[٣] وجاء بقولين من علماء الماضين وأيضاً استشهد بآية من القرآن لتقوية المعني و تأييده... و هذا النمط من التفسير وصاحبه بين القرنين الرابع و الخامس للهجري ينبغي أن يرى له درجة عالية ومقاما شامخا

٢- إن سأل سائل عن قوله تعالى"ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا"[٤]. فقال كيف يجوز يأمرنا على سبيل العبادة بالدعاء بذلك و عندكم أن النسيان من فعله تعالى فلا تكليف يجوز على الناسي في حال نسيانه و هذا يقتضي أحد أمرين إما أن يكون النسيان من فعل العبادعلى ما يقوله كثير من الناس أو نكون متعبَدين بمسئلته تعالى ما نعلم أنه واقع حاصل لأن مؤاخذة الناسي مأمونة منه تعالى و القول في الخطأ اذا أريد به ما وقع سهواً أو عن غير عمد يجري هذا المجرى.. الجواب قلنا قد قيل في هذه الآية المراد بنسياننا تركنا قال أبو علي قطرب بن المستنير معني النسيان هاهنا الترك كما قال تعالى "ولقد عَهِدنا الى آدمَ من قبل فَنَسي"[٥] أي ترك و لو لا ذلك لم يكن فعله معصية و كقوله تعالى "نسوا الله فَنَسِيهم"[٦] أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه و رحمته و قد يقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك أي لا تتركني منها و أنشد إبن عرفة:

وَ لم أَكُ عِندَ الجُودِ لِلجُودِ قالِياً و لا كنتُ يَوْم الرَّوْع للطعنِ ناسِياً

أي تاركا.. و مما يمكن أن يكون على ذلك شاهداً قوله تعالى"أتأمرون الناس بالبرّ وَتَنسون أَنفسكم"[٧] أي تتركون أنفسكم.. و يمكن في الآية وجه آخر على أن يحمل النسيان على السهو و فقد المعلوم و يكون وجه الدعاء بذلك من أنه على سبيل الإنقطاع الى الله تعالى و إظهار الفقر إلى مسئلته و الإستعانة به و إن كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله و يجري مجرى قوله تعالى في تعليمنا و تأديبنا " لا تحمّلنا ما لا طاقةَ لنا به"[٨] و مجرى قوله تعالى "قال ربِّ احكُم بالحق"[٩] و لا تخزني يومَ يبعثون"[١٠] وقوله تعالى حاكياً عن الملائكة "فاغفر للذين تابوا"[١١] الآية وهذا الوجه يمكن أيضاً في قوله تعالى أو أخطأنا اذا كان الخطأ ما وقع سهواً أو غير عمد فأما على ما يطابق الوجه الأول فقد يجوز أن يريد تعالى بالخطأ ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيىء و عن الجهل بأنها معاص لأن من قصد شيئاً على اعتقاد بصفة فوقع ما هو بخلاف معتقده يقال قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل ومما أقدموا عليه مخطئين متأولين.. و يمكن أيضاً أن يريد بأخطأنا هاهنا أذنبنا أو فعلنا قبيحاً و ان كنا له متعمدين و به عالمين لأن جميع معاصينا لله تعالى قد توصف بأنها خطأ من حيث فارقت الصواب و ان كان فاعلها متعمداً فكأنه تعالى

---

[١]- الإسراء/٨٦
[٢]- سيد المرتضى،الأمالي، ج١لا ص٨-٩.
[٣]- السبب للنزول الذي ذكره السيد في التفسير الآية المذكوري، جاء به اكثر المفسرون عند ذكر الآية.
[٤]- البقرة/٢٨٦
[٥]- طه/١١٥.
[٦]- التوبة/٦٧.
[٧]- البقرة/٤٤.
[٨]- البقرة/٢٨٦.
[٩]- الأنبياء/١١٢.
[١٠]- الشعراء/٨٧.
[١١]- غافر/٧.

أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه من الواجبات و مما فعلوه من المقبحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب والله أعلم بمراده[1].. .

تعليق: وكما مضى يبتدأ السيد بسؤال عن آية كعادته في تفسير الأكثر من الآيات التى فسّرها و كانه يريد أن يشوق المستمعين من طلّابه و القارءين فيما بعد لمعانى الآيات و مفاهيمها و أن يُثير دفائن عقولهم إلى فهم و تعلّم كتاب الله ومحتواه ويشوقهم للتقرّب منه و العمل به و هذا الأسلوب من أرقى أساليب التعلّم و التربية للإنسان حيث يتحرّك ضميره وجهاز عاقلته وتدبّره لدرك الحقائق والعلوم المفيدة كما هو أسلوب الأنبياء لهداية الجوامع البشرية[2]. ويأتي السيد المرتضى بالجواب مفصّلاً لتفسير الآية ويستعمل فيه المعنى للألفاظ من قول وشعر واستشهاد بآيات أخرى مشابهة و معانى محتملة يحتملها أن تكون مبينة للآية...

٣- قال المرتضى رضي الله عنه.. وجدت أبابكر محمد بن القاسم الأنباري يطعن على جواب من أجاب في قوله تعالى"وَبلغت القلوبُ الحناجرَ"[3] بان معناه كادت تبلغ الحناجر و يقول كاد لا تضمر ولابد أن يكون منطوقاً بها ولو جاز ضمرها لجاز أن يقال قام عبدالله بمعني كاد عبدالله يقوم فيكون تأويل قام عبدالله لم يقم عبدالله لان معني كاد عبدالله يقوم لم يقم و هذا الذي ذكره غيره صحيح و نظن ان الذي حمله على الطعن في هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة لان من شأنه أن يردّ كل ما يأتي به ابن قتيبة و ان تعسف في الطعن عليه و الذي استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمر في مواضع و يقتضيها بعض الكلام و ان لم تكن في صريحه ألا ترى انهم يقولون أوردت على فلان من العتاب و التوبيخ و التقريع مامات عندهو خرجت نفسه و لما رأى فلان فلاناَ لم يبق فيه روح و ما أشبه ذلك و معني جميع ما ذكرناه المقاربة ولا بد من إضمار كاد فيه.. وقال جرير:

إنَّ العيونَ التي في طرفها مرَضٌ قَتلننا ثمَّ لمْ يُحيينَ قتلَانا

وانما المعني أنهن كدن يقتلننا فهذا أكثر في الشعر و الكلام من أن نذكره و ليس يمتنع فأما قوله- يحيين قتلانا- فالأظهر في معناه أنهن لم يزلن يفعلن ما قاربنا عنده الموت و القتل من الصدود و الهجر و ما أشبه ذلك و سمى هذه الأمور حياة كما سمى أضدادها قتلاً و قد قيل إن معني يحيين قتلانا أنهن لم يدين قتلانا من الدية لأن دية القتيل عند العرب كالحياة له و قد روي ثم لم يحيين قتلانا و هذه رواية شاذة لم تسمع من عالم و لا محصل و معناها ضعيف ركيك و اذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال قام فلان بمعني كاد اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعني كاد يموت.. فأما قوله فيكون تأويل قوله قام عبدالله لم يقم عبدالله فخطأ لأنه ليس معني كاد يقوم أنه لم يقم كما ظن بل معناه أنه قارب القيام ودنا منه فمن قال قام عبدالله و أراد كاد يقوم فقد أفاد ما لا يفيده لم يقم.. و أما قوله تعالى "زاغت الأبصار"[4] فمعناه زاغت عن النظر الى كل شيء فلم تلتفت إلا الى عدوها و يجوز أن يكون المراد بزاغت أي جارت و مالت عن القصد في النظر دهشاً و تحيراً.. فأما قوله تعالى "و تظنون بالله الظنونا"[5] معناه أنكم تظنون مرة أنكم تنصرون و تظهرون على عدوّكم و مرة أنكم تبتلون و تمتحنون بالتخلية بينكم و بينهم و يجوز أيضاً أن يريد الله تعالى أن ظنونكم اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصرة و شكوا في خبره عزّ وجلّ كما قال

---

[1]- السيد المرتضى، الأمالي، ج٤، ص٤٣-٤٤.
[2]- اشارة إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام الذى ورد في نهج البلاغة"...فبعث فيهم رسله، و واتر إليهم انبياءه، ليستأدوهم فطرته و يذكّروهم مَنسى نعمته و يحتجّوا عليهم بالتبليغ و يُثيروا لهم دفائن العقول ويّروهم الآيات المقتدّره...(السيد الرضى، ١٣٦٩ش، نهج البلاغة، خ١).
[3]- الأحزاب/١٠
[4]- الأحزاب/١٠
[5]- الأحزاب/١٠

تعالى حكاية عنهم: "ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً " وظن المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى لهم كما حكي عز وجل عنهم في قوله "هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله" وكما ذكرناه واضح في تأويل الآية وما تعلق بها[1]

تعليق: و في هذا التفسير نرى الشريف المرتضى أن يوسع في معنى اللفظ ويشير ألى استعمالاته في العربية في النثر و النظم حتى يكمّل المعني تماماً و أيضاً إذا جرى الكلام ألى سرد رواية يسردها و يصرّح على نوعها، كما صرّح في ذكر الرواية المذكورة أنها شاذّة و معناها ضعيف ركيك.

٤- [تأويل آية]..إن سأل سائل عن قوله تعالى "واذا سألك عبادي عني فانّي قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني"[2] الآية.. فقال كيف ضمن الإجابة و تكفل بها وقد نرى من يدعوه فلا يجاب.. الجواب قلنا في ذلك وجوهٌ.. أوّلها أن يكون المراد بقوله تعالى: أجيب دعوة الداعي" أي أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أي من لا يسمع و قد يكون أيضاً يسمع بمعني يجيب كما كان يجيب بمعني يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد به أجاب الله من حمده.. و أنشد إبن الإعرابي:

دَعَوْتُ اللهَ حتَّى خِفْتُ أن لا  يكُون اللهُ يَسْمَعُ ما أقُولُ

أراد يجيب ما أقول.. و ثانيها أنه تعالى يرد بقوله تعالى قريب من قرب المسافة بل أراد أنني قريب بإجابتي و معونتي و نعمتي أو لعلمي بما يأتي العبد و يذر وما يسر ويجهر تشبيهاً بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله و لم يخف عليه ويكون قوله تعالى أجيب على هذا تأكيداً للقرب فكأنه أراد أنني قريب قرباً شديداً و أنني بحيث لا يخفى علىّ أحوال العباد كما يقول القائل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه و العلم يحاله أنا بحيث أسمع كلامك و أجيب نداءك أو ما جرى هذا المجرى.. و قد روي أن قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا له ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى هذه الآية .. وثالثها أن يكون معنى هذه الآية أنني أجيب دعوة الداعي اذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء و هو أن يدعو باشتراط المصلحة و لا يطلب وقوعُ ما يدعو به على كل حالٍ ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لأنه إن كان صلاحاً فعل ما دعا به وإن لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو أيضاً مجاب الى دعائه.. ورابعها أن يكون معنى دعاني أي عبدني وتكون الإجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكأنه تعالى قال إنني أثيب العباد على دعاهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه.. و خامسها ما قاله قوم من أن معنى الآية أن العبد إذا سأل الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاح فعل به و أجابه اليه وإن لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاحٌ وخير لم يعطه ذلك في الدنيا و أعطاه إياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال.. وسادسها أنه تعالى إذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إمَّا أن يجاب دعاؤه و إمَّا أن يجاب له بصرفه عما سأل ودعا فحسن اختيار الله له بقوم مقام الإجابة فكأنه يجاب على كل حالٍ و هذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاحٌ ومنفعة له في الدنيا وإن كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطي ذلك لأمر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجاباً مع المنع الذي لا يرجع اليه منه شيء من الصلاح اللهم إلّا أن يقال أنه دعاه مشروط بأن يكون صلاحاً ولا يكون فساداً ومعني قوله تعالى "فليستجيبوا لي" أي فليجيبوني وليصدقوا رسلي.. قال الشاعر:

وَداعٍ دَعا يا منْ يُجيب إلى النَّـــــــــــــــــدى  فلمْ يَسْتَجِبهُ عِندَ ذاكَ مُجيبُ

[1]- السيد المرتضى،الأمالي، ج٢، ص١٣-١٤.
[2]- البقرة/١٨٦

فقلتُ ادعُ أخرَى و ارْفعِ الصّوَت ثانياً لَعلَّ أبي المغْوَارِ منْكَ قريبُ[1][2]

(السيد المرتضى، الأمالي،١٣٢٥، ٣/٥٩-٦٠).

تعليق: وكما نرى في تفسير هذه الآية أن السيد المرتضى جاء بالوجوه المختلفة من المعاني على حدّ ما توصل إليه بتدبره في القرآن الكريم بدرايته وواسع علمه ومن ثم أنه شاعر أديب قلّ ما يمرّ على المعاني في القرآن الكريم و لا يشير إلى بحث في الأدب و الشعر.

النتائج:

توصل البحث الى النتائج التالية:

١-تحتوى شخصية السيد المرتضى العلمية على جوانب شتّى في الأدب والفقه والكلام والحديث والتفسير، عرفت بعضها من خلال تصانيفه وتأليفه وآثاره في مدى القرون والأزمنة و لكن لم تعرف بعضها ولا زالت مجهولة إلى يومنا هذا.

٢- تفسير القرآن الكريم هو جانب غير مشهور من الجوانب العلمية فى شخصية السيد يبيّن نهجه الخاص في تبيين الآيات القرآنية والذى يعبر عن فهمه العميق من القرآن الكريم.

٣- الأمالى من الكتب المعروفة للمرتضى، قد ضمّ كثيراً من آراءه التفسيرية و درايته وتلقّيه من القرآن وتعابيره عن الألفاظ والعبارات الوحيانية والذى أظهر المرتضى بأنّه مفسّر للقرآن بل هو في قمّة المفسرين، لاسيّما في نوع التفسير الذى يختلف عن شكله الروائى الذى كان سائدا في القرون الأولى من التاريخ الإسلامي.

٤- ينبغى أن يكون لأهل العلم في جوانبه المختلفة وللمؤسّسات الثقافية والحوزات العلمية والجامعات ومراكز التعاليم العالية والدراسات القيّمة إقبال تجاه العلوم الّتى بقيت من المرتضى وآثاره التي وصلت إلى يومنا هذا، للأستفادة والتطبيق في شؤون العلم و الإيمان.

[1]- قوله -لعلّ أبى المغوار -بجرّ أبي على لغة عقيل فان عندهم تجرّ في أربع لغات من لغاتها أي ثابتة الأول و محذوفة مفتوحة الآخر و مكسورة وأما بقية لغات لعلّ فلا يجرّ بها عندهم و أبو المغوار بكسر الميم و سكون الغين المعجمة اسمه شبيب و ر وي:
"فقلت ادع أخرى و ارفع دعوة بالنصب على التعليل
و ر وي أبو المغوار بالنصب على أصله و هذان البيتان من قصيدة لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه شبيب اً أولها:
تقول سليمي ماما لجسمك شاحباً كأنك يحميك الطعام طبيب
فقلت و لم أعى الجواب لقولها و للدهر في صم السلام نصيب
تتابع احداث تخرَّ من إخوتي و شيبن رأسي و الخطوب تشيب
لعمري لئن كانت أصابت مصيبة أخي و المنايا للرجال شعوب
لقد كان أما حلمه فمروح علينا و أما جهله فعزيب
[2]- ينظر: السيد المرتضى، الأمالى، ج٣، ص٥٩-٦٠

**المصادر**

القرآن الكريم

ابن ابى الحديد، عبد الحميد، ١٣٧٨ق، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابولفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية.

ابن حزم، على ١٤٠٣ق، جمهرة أنساب العرب، بيروت، لبنان.

ابن النديم، محمد بن اسحاق، ١٣٤٦ ش، الفهرست، طهران، ايران.

الإصبهانى الأفندى، ١٣٨٩ ش، رياض العلماء، مكتبة المرعشى النجفى، قم، ايران.

المحامى، رشيد صفار، ١٤١٥ ق، ترجمة الشريف المرتضى.

حامد،كاظم عباس، ٢٠٠٤ م، الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، بغداد، العراق.

الجواهرى، محسن بن شريف(الشيخ)، ١٣٥٥ ق، الفرائد الغوالي، مطبعة الأدب، النجف، العراق.

الذهبي، محمد حسين، ب ت، التفسير والمفسّرون، دار القلم، بيروت، لبنان.

السيد الرضي،١٣٦٩،نهج البلاغة،چاپخانه(مطبعة)مهر، قم، ايران.

السيد المرتضى، على، ١٣٢٥ ق، الأمالي، تصحيح أحمد بن الأمين الشنقيطي، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ايران.

السيد المرتضى، على، ١٣٨٠ ش، تنزيه الأنبياء، منشورات الشريف المرتضى، قم، ايران.

السيد المرتضى، على، ١٤١٥ ق، رسائل الشريف المرتضى، دار القرآن الكريم، قم، ايران.

السيد المرتضى، على، ١٣٧٨ ش، الذريعة إلى أصول الشريعة، طهران، ايران.

السيوطي، جلال الدين، ١٤٠٧ ق، الإتقان في علوم القرآن، دار إبن كثير، دمشق، سورية.

الشريفي، محمود، ١٣٩٢ ش، سيد مرتضى پرچمدار علم و سياست(فارسي)، انتشارات اميركبير، طهران، ايران.

الشريف الجرجاني، على، ١٣٢٥ ق، شرح المواقف، القاهرة، مصر.

الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن ، ب، ت، التبيان في تفسير القرآن، النجف الأشرف، العراق.

الصدر، سيد حسن، ١٤٠١ ق، تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان.

الطبرسي، فضل بن الحسن، ١٣٧٩ ق، مجمع البيان في تفسيرالقرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

عبد الرزاق، محيي الدين، ١٩٥٧ م، أدب المرتضى من سيرته و آثاره، مطبعة المعارف، بغداد، العراق.

عقيقي بخشايشي، عبد الرحيم، ١٣٧٣ ش، طبقات المفسرين، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ايران.

كريمى نيا، مرتضى، ١٤٣٤ ق، المصابيح في تفسير القرآن، كنز من تراث التفسير الشيعي.

گرجى، ابوالقاسم، ١٣٧٩ ش، تاريخ فقه و فقها(فارسى)،طهران، ايران.

گولدزيهر، ايگناتس، ١٩٥٥ م، مذاهب التفسير الاسلامي، ترجمة عبد الحليم نجار.

مدرس تبريزي، محمدعلى، ١٣٩٦ ش، ريحانة الأدب(فارسي)، مطبعة شفق، طهران، ايران.

مطهري، مرتضى(الشهيد)، ١٣٨٧ ش، آشنايى با علوم اسلامى(فارسي)، انتشارات صدرا، طهران، ايران.

مظلومي، رجبعلي، ١٤٠٤ ق، تفسير شيعه و تفسير نويسان آن(فارسي)، نشر آفاق، طهران، ايران.

موسوي خوانساري، ميرزا محمد باقر، ١٣٩٠ ق، روضات الجنات(فارسي)، مؤسسة اسماعيليان، قم، ايران.

النجاشي،أحمد بن علي،١٤١٦، رجال النجاشي، تحقيق السيد موسى الشبري الزنجاني، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، ايران.